

"أنتَ كاهنٌ إلى الأبد على رتبة ملكيصادق." (عب 7:17)

أصحاب السيادة،
قُدس الأباتي الأفاضل،
آبائي الأجلاء،
أصحاب السعادة،
إخوتي وأخواتي الأحباء

إلى تهاني قداسة الحبر الأعظم البابا بندكتس السادس عشر، وغبطة أيينا البطريرك مار نصر الله بطرس صفيير الكلي الطوبى، وسيادة المطران جوزيف خوري السامي الاحترام، أضَمّ شكري وامتناني إلى الله تعالى. وإذا أقفُ أمامكم اليوم كاهناً رُسِمَ بكهنوتِ المسيح منذ عشرين سنة للخدمة الرعوية في الأصقاع الكندية في أبرشية مار مارون، في كندا وفي يوم عيد شفيعها وأبيها المُعظَّم القديس مارون.

ها أنذا الآن أحتفل أمامكم جميعاً بذبيحة الشكران لله على نعمه التي فاضت عليّ لعشرين سنة فاتت. أقدم لك يا رب ذاتي وشكري، واتكالي عليك لمتابعة المسيرة إلى الرmq الأخير من حياتي التي قدسّتها نِعَمَك.

أودّ أيضاً، أن أقوم بواجب الشكر لجميع من آزرني وساعدني لكي أصل إلى هذه المرحلة من حياتي الكهنوتية. الدعوة الكهنوتية هي من لدن العائلة. فكما قال الحبر الأعظم قداسة البابا بنديكتس السادس عشر في عظته في إسبانيا: "العائلة تنقل الإيمان إلى الأجيال الطالعة." فما دعوتي إلى الكهنوت إلا حصيلة ما نقلت إليّ عائلي. هناك في البيت العائلي تعلّمت أن أرفع قلبي بالدعاء إلى خالقي وإلهي. أرى اليوم أنه من واجبي أن أقرّ وأعترف بعرفان الجميل، نحو جميع الذين رافقوني، لكي أصل إلى هذه اللحظة المباركة. أشكر عائلي على التربية المسيحية الصالحة، وتشجيعي في نموّ دعوتي الكهنوتية.

كما أشكر كلّ الذين أتوا ليحتفلوا معنا من قريبٍ أو بعيد وأخصُّ بالذكر أبناء رعيتي، مار أنطونيوس الكبير في ليمنغتون، كندا والآباء الأجلاء فؤاد و ناجي زوين القادمين من فرنسا والأرجنتين. أشكركم جميعاً وأقول: "ما أجمل أن يجتمع الإخوة."

في عظمي الأولى سألت الرب أن يعضدني لأخدم مذبحه الطاهر في بداية مسيرتي الكهنوتية وها أنا الآن كالخادم الأمين الذي يؤدي الحساب إلى سيده. أضع أمام الرب الوزنات التي منحني إياها في بداية رسالتي الكهنوتية مع الوزنات التي عملت على ربحها له من خلال تقديم الأسرار إلى القطيع الذي أوكلت العناية به. لقد تقدّست نفسي بنعمة الأسرار، فوزعتها على إخوتي، وديعة نفيسة، اقتناها لنا الرب يسوع بثمن دمه الكريم المراق على الصليب.

فمن الطفل الأوّل الذي تعمد على يدي، جيروم أبي نخول وهو اليوم يقرأ الرسالة. إنّه لفخر لي أن أقدم على مذبح الرب أعضاء جديدة للكنيسة وقد بلغ عددهم 473. إلى الأحياء الذين جمعهم في سرّ الزواج المقدّس وهم معنا اليوم جورج ويولاً عازار، فما جمعه الله لا يفترقه إنسان، وهم 194 زوج، إلى الذين تناولوا جسد الرب للمرّة الأولى وعددهم 654 مناوله أولى.

فالحمد لك يا رب، أيها الكاهن الأوّل، الفاعل الأهمّ، والعامل غير المنظور، على جميع ما كافأني به. وكم تساءلت: "ماذا أقدم للرب على كل ما أحسن به إليّ؟" فالرب صنع إليّ أموراً عظيمة، قدّوس اسمه! فلا عجب إذا أفنيت العمر في حمده وشكره على مساعدتي في سعي إلى تقديس نفسي. فكلّ يوم هو امتحان جديد لمحبتتي وتفاني في خدمة الرب من خلال أبناء رعيتي وكلّ من تضعهم العناية الإلهية على طريق حياتي، لنعيش سوياً البشارة الجديدة.

اجتماعنا اليوم، هو شكر وعُرفان جميل للرب الذي ضمّني منذ عشرين سنة إلى رُسُلِهِ، نواةً لكنيسة جديدة ومتجدّدة، تسير بفعل الرّوح القدس وتبقى إلى الأبد. واليوم وبعد مرور زمنٍ على سيامتي، أسأل الرب أن يجعلني أهلاً للتضحية وبذل الذات في سبيل الآخرين، فسرّ الكهنوت المقدّس ليس هو حُلّة سوداء يرتديها الكاهن، بل هو كياناً جوهرياً وشهادة حيّة لعمَل المسيح على الأرض.

في هذه المناسبة بالذات، ونحن نقدّم الشكران لله على نعمه، لا يسعنا إلا أن نتأمّل بحياة القديس مارون، صاحب العيد وأب طائفتنا. تأمّلنا بحياة القديس مارون هو تذكير بحقائق تاريخية وأمور واقعية بعيداً عن كلّ عاطفة شخصية. وُلد القديس مارون وعاش ومات في شمال سوريا بين الجيلين الرابع والخامس. في مطلع شبابه تفتّح ضميره على المعرفة والمسؤولية، وتألّم باكراً للحالة الدينية والأخلاقية والاجتماعية في بيئته. فترك العالم وراح يعيش منفرداً ناسكاً في البرية. مات عن العالم ليحيا لله، "وحبة الحنطة، قال السيد المسيح، إن لم تقع وتمت في الأرض تبقى منفردة، وإن ماتت تأتي بشمارٍ كثيرة."

عاش إيمانه الحيّ بالتقوى والإماتة والتقسّف البطولي حتّى القداسة. فاح عرف قداسته، وهل يُمكن أن تُخفي مدينة مبنية على جبل؟ لم يخف مارون المبني على جبل القداسة، ابتعد عن الناس فتراكض الناس إليه طلباً لصلاته ودعائه والبركة،

وتهافتوا أكثر عندما منحهُ الله موهبة شفاء المرضى، شفاء أمراض النفوس والأجساد. تجمّع المؤمنون حوله في البرية ومكثوا معه يقتدون به، بحياته وسلوكه، ويقاسمونهُ طريقة عيشه البطولي الخاصّ.

ماتَ مارون ودُفِنَ، ووُلِدَتِ المارونية وهي إيمان وعقيدة وروحانية وحضارة، وكثرت الأديار وكثرت الجماهير المُحبّة لمارون، واتّخذتُهُ شفيعاً، وانتسبت إليه وسارت على خُطاه، وسُمّي الشعب الماروني ثمّ الكنيسة المارونية.

ونلاحظ هنا بكلّ موضوعيّة أنّ القديسين، كلّ القديسين ينعمون بالمجد الخالد في السماء، أمّا القديس مارون فهو وحده من له على الأرض شعبٌ يحمل اسمه وكنيسة تنتسبُ إليه بالعرز والمجد والفخر. ومن عُظماء القديسين في كنيسة مارون، القديس شربل والقديسة رفقا، والقديس نعمة الله الحرديني الذين حدوا حدو مارون بالتقشّف البطولي. لقد عملَ مار شربل في كرم الدّير ولم يتذوق حبة عنب بل تذوّق خمرة الله فأصبح سكراناً به. هذا مثل من العديد من التقشّفات والإماتات التي قام بها أبناء كنيسة مارون.

وها نحن الآن، نحتفل بعيد القديس مارون، الكاهن الذي علّم ووزّع الأسرار، وأسّس رعية المسيح عائلة عائلة، كما يبني البناء البيت مدماكاً مدماكاً، كان تلاميذه واحداً بالمسيح. وأصبحوا كنيسة مُستميّنة بواجب الشهادة للمسيح وتعاليمه.

بولائنا لطائفنا نحفظ كنيستنا، وبولائنا لكنيستنا نحفظ وطننا. وما أكثر حاجة وطننا اليوم إلى أبناءٍ برةٍ يقدمون الولاء له بغضّ النظر عن الأحزاب والتيارات والهتافات.

أسأل الله تعالى، الكاهن الأزلّي وفادي الإنسان، أن يثبّت مقاصدي الصالحة وينمي فيّ روح المسؤولية والالتزام، وأن يشدّد عزائمي لحفظ الأمانة، ومتابعة العمل في حقل الربّ جاعلاً دستور حياتي الكهنوتية فرح بالألم، تضحية بالرجاء، محبة بلا حدود، إيمان لا يتزعزع، فأجعل حياتي كلّها لله وفيه ومن أجل الربّ إلهي.